جمالية المكان في شعر المتنبي
(قراءة تأويلية)

م.د. سالم عبدالنبي العقابي
جامعة البصرة، العراق
Salem.Abdelnabi@uobasrah.edu.iq

الملخص:

هذا العنوان يتمحور حول جمالية المكان في شعر المتنبي المنتزَعة من عملية تأويل النّص، فالمحور الأساس لهذه الدراسة هو التشكيل المكاني في شعر المتنبي؛ لذا حاول الباحث تخطي المظهر الشكلي والجغرافي والفيزيائي للمكان إلى وجوده الآخر الكامن في وعي الشاعر.

ولعلها كانت محاولة جادة للكشف عن الصورة الجمالية للمكان ضمن نطاقه الدلالي في نص الشاعر، بما يتفق وطريقة ترابطه في بنيته الدلالية ببعديها المركزي والثانوي، الأمر الذي ساعد على انبثاق المظهر الفوقي للمكان، وتحقق تمثلاته العميقة الكامنة في كينونة النص، فتشكلت بناءً على ذلك الصورة الجمالية للمكان المستخلصة من عملية تأويل النّص.

الكلمات المفتاحية: (المكان، جمالية المكان، قراءة النص، تأويل النص، الدلالات المركزية والثانوية).

The Aesthetics of the Place in the Poetry of Al-Mutanabbi
(An interpretive reading)

Lect. Dr. Salem Abdel Nabi Al-Aqabi
Basra University, Iraq
Salem.Abdelnabi@uobasrah.edu.iq

Abstract:

This title revolves around the aesthetics of place in Al-Mutanabbi's poetry extracted from the process of interpreting the text. The main focus of this study is spatial formation in Al-Mutanabbi's poetry. Therefore, the researcher tried to go beyond the formal, geographical and physical appearance of the place to its other existence hidden in the poet's consciousness.

Perhaps it was a serious attempt to reveal the aesthetic image of the place within its semantic scope in the poet's text, in accordance with the way it is interconnected in its semantic structure with its central and secondary dimensions, which helped to emerge the superficial appearance of the place, and realize its deep representations inherent in the being of the text, and the aesthetic image was formed based on that. For the place extracted from the process of interpreting the text.

Keywords: (place, aesthetics of place, reading the text, interpretation of the text, central and secondary connotations).

تقديم: يعدّ المكان عنصراً جمالياً بارزاً في الخطاب الأدبي والسردي – على وجه الخصوص – فهو عنصرٌ يحتضن الأحداث والمشاهد ويمنح الأدوار التي تقوم بها الشخصيات وتؤديها بعداً حركياً وهويةً تشخيصية، تعزّز من دورها وتمنحهُا روحاً مفعمةً بالحركة، فالمكان هو المظلّة والمعترك الذي يتجلى فيه الصراع بمختلف أشكاله.

وقد تنبّه الفلاسفة اليونانيون الى اهمية المكان في المسرح وفي الأدب الملحمي، فتأملوا المؤثرات التي يخلقها في وعي الجمهور حينما يشاهد المسرحية، او يقرأ الملحمة.

لقد ارتبط المكان ارتباطاً وثيقاً مع عنصر الزمان، بل لا نبالغ اذا قلنا ان عنصر المكان والزمان عنصران متلازمان يكتنفان أفعال الإنسان، ومظاهر الكون والحياة، وإذا كان ثمة فارق بين لغة الشعر ولغة النص الروائي فإن عنصر المكان في الشعر لا يفقد جماليتهُ المعهودة في النص السردي ، بل نجد عددًا من النصوص الإبداعية الشعرية تزخر بحركية المكان ووهجه الجمالي لتمنح القارئ فرصةً لقراءة إيحاءاته ،ومدلولاته الخفية الكامنة تحت طيات النص وخصوصًا إذا تشكلت في بنية نصٍّ تتفاعل عناصره من صورٍ وايقاعات بالطريقة التي تغري قارئ النص لإعادة إنتاجه على وفق قراءة نقدية عميقة.

مما لا شك فيه أن صورة المكان هي الأخرى تتباين من نصٍّ لآخر طبقاً لما يكتنزه هذا النص من قدرة للشاعر على صياغة أبعاده وعناصره التي تمنحهُ جمالاً، ومن بين هؤلاء المبدعين الشاعر العربي الكبير أبو الطيب المتنبي الذي وهب المكان روحاً ووصفاً عززت حقيقة تربّعه عرش

الوصف؛ لذلك حاول هذا البحث وضع أصابع القارئ على الصورة الجمالية للمكان في شعره من وجهةٍ تختلف عن ما قامت به بعض الدراسات من عملية احصائية لصورة المكان دون قراءتها قراءة عميقة.

- **مفهوم المكان فلسفياً**

تتجلى هوية المكان حضوراً بوصفه كينونةً كونيةً وحيّزاً جغرافياً يتعذر من دونه إدراك الأشياء وتصورها فهو الحيز الذي يتلازم في وعي الإنسان مع الزمان ليشكلان (الزمكانية).[١]

ذلك المصطلح الذي بذل العقل البشري جهودًا جبارةً من أجل صياغته صياغة علمية حققت قفزةً وتطوراً هائلاً نقل العقل البشري من حقل الفهم المجرد الى حقول التجارب العلمية وخصوصًا على صعيد فيزياء (الكم) وهو ما يسمى بالفراغ الزمنكاني (space time continue) الذي أسس له عالم الفيزياء الشهير ألبرت أينشتاين.

إلّا انّ البحث في مفهوم المكان لم يكن وليد اللحظة العلمية لجهود الفيزياء الحديثة، بل سبقته محاولات كثيرة لمعرفة ماهيته وجوهره والوقوف على حدوده، لذا تباينت مستويات الوعي لمفهومه بين العقل الذي تحكمه قوانين اللغة فيحاول اعطاءهُ تعريفاً ينسجم ويتفق مع قواعدها، وهو الأمر الذي قاد المعاجم اللغوية الى تحديد تعريفات تنبع من علاقة (الكينونة بالشيء) ففي لسان العرب: إن المكان ((هو الموقع والجمع امكنة.... فالمكان والمكانة واحد لأنه موضع لكينونة الشيء)). [٢]

وبين صورته أي المكان المنتزعة من النص القرآني في قوله تعالى: ((فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا)).[٣]

لقد بينت تلك الآية علاقة مبطّنة لتلازم الحامل والمحمول أي علاقة بين كينونة الشيء، ووجودهِ أي (بين مريم الإنسان وبين كينونة وجودها المتمثلة بالمكان).

إن مفهوم المكان فلسفياً يتصل اتصالا جوهرياً بصياغة الوعي للذات وللكينونة ،والتي من خلالهما حاول الفلاسفة صياغته وتحديد هويته عبر جدلية مستقلة عن تصورات العقل، ذلك الطرح الذي وضع الفلاسفة في احراج وعدّ بحثهم هذا شكلاً من أشكال السفسطة، ذلك أن الواقع المنطقي ينتصر لمتلازمة المكان مع العقل ومع التصور المنطقي للمكان النسبي ليكون المكان بنية لا تخرج عن نطاق الوعي.

من الفلاسفة الذي حاولوا إعطاء مفهومٍ للمكان اقرب للواقع: أفلاطون وأرسطو، فقد عرّفه الأول: (الحاوي للموجودات المتكاثرة، ومحل للتغيير والحركة في العالم المحسوس أي العالم الظواهر الحقيقي؛ بينما نجد أرسطو يعرفه بطريقة أكثر عمقاً إذ يصفه انه الحد اللامتحرك، المباشر الحاوي او السطح في الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي).[٤]

إن هذه الفكرة تطورت فيما بعد لتكون منطلقاً لتصورات الفلسفة الحديثة للمكان حيث أدخله" ديكارت ضمن مفهوم الامتداد [٥].وعده الفيلسوف "كانت" موضوعاً يدخل في تصورات العقل العملي والنظري.[٦]

أما الفلسفة الماركسية، فقد تبنّت مقولة المكان كأنموذج تطبيقي لفكرة الصيرورة ،والتحول والتغيير المستمر للأشياء، وارتكزت على التناقض بين العدم والوجود الذي يحيل إلى المركب الفلسفي (الأطروحة والطباق والتركيب): وهي فكرةٌ تعود جذورها الى الفيلسوف اليوناني هيرقليطس:"انك لن تستطيعَ أن تضع قدمكَ في نهرٍ يجري مرتين[٧]

• المكان في النص الأدبي

هذه الرؤية الماركسية للمكان تجلت بطريقة أكثر ابداعاً في الأنموذج الماركسي للرواية التي وظفت المكان كعنصر حيوي سواء في متنها الحكائي أو في بنائها وهنا لابد لنا من الاشارة السريعة الى الناقد ميخائيل باختين[٨]

الذي تناول المكان في أكثر من موطن من مؤلفاته ، فعده عنصراً مشحوناً بالحركية، وفضاءً يرسّخ جمالية السرد ويعزز من حضورهِ في وعي المتلقي.

ولما كان النص الأدبي حاملاً لجمالية التعبير وموطنًا يتجلى فيه العمل الإبداعي ، فإن المرتكز الأساس في تحديد المكان هو "اللغة" التي تتباين مستويات التعبير بها طبقاً لطبيعة الجنس الأدبي وهو الفيصل الفارق بين المكان بالرواية والمكان بالشعر ، فالمكان بالشعر تختزنه الشعرية التي يكتنفها النص وتقبع تحت طياتهِ ليتحول الى شعرية المكان وهنا يكون ذا رمزية دلالية لا يحتمل احداثاً تجري ولا شخوصاً تتحرك بل رموزا تحتضنُ احداثاً وازماناً واساطير وأفكارا يجسدها الشاعر

بواسطة الصورةِ واللغةِ والإيقاع ، فتنبثق جمالية المكان من خلال التفاعل الشديد بينه وبين فلسفة العصر ورؤى الإنسان فتكون الشحنة الجمالية: خفية ومعلمة ، آتية إلينا عبر فعل المخيلة النشط.(٩) بينما في الرواية نجد المكان يحتل دوراً بارزاً في رسم المشاهد والأحداث ويكرس بوضوح الأدوار التي تؤديها الشخصيات بل قد يشاركها في بطولة المشاهد من خلال ما يعكسهُ من ابعادها الشخصية والنفسية والفكرية للشخوص ((فهو مرآة تنعكس على سطحها صور الشخصيات وتتكشّف من خلاله بعدها النفسي والحضاري..... أنه يسهم في رسم مظاهرها الحدسية ولباسها وسلوكها وعلاقاتها بسواها... ويتمكن فيها "البيتي" للمكان من تحديد هوية المنتمين إليها)).(١٠)

بينما دور المكان في الشعر يختفي تحت طيات الجمال الشعري الذي يعمل على اختزال هويتهُ بكل أبعادها.

• جغرافية المكان في شعر المتنبي

تتوزع خارطة المكان في شعر المتنبي بين هويته الصريحة وبين الاشارات النائبة عن وجودهِ من تورية ومجازات وكنايات شعرية أبدع المتنبي بالتعبير عنها، فقد صرّح بتسميته الجغرافية "كالعراق" بقوله:

وَقُلْنَا لهَا أينَ أرْضُ العِراقِ

فَقَالَتْ وَنحنُ بِتُرْبَانَ ها(١١)

وهي امثلةٌ جغرافية للمكان يزخر بها ديوان المتنبي، وتمثل ذاكرة الشاعر ومواقفهُ اتجاهها. وهنالك أمكنةٌ قد يلجأ الشاعر بالتعبير عنها من خلال الكنايات لكونها تحمل رموزاً دينية وتاريخية كقولهِ:

ضَرَبتُ بِها التيهَ ضَربَ القِمارِ

إمّا لِهَذا وَإمّا لِذا(١٢)

وهذهِ الأماكن وغيرها وهي كثيرة في شعره تتفاعل معها ذات الشاعر وأحاسيسه على مستويين:-

المستوى الأول: تحمل عنفوان الحضور بشخصية الشاعر فيرسمها بريشة ابداعية يتعذر منافستها، بل لا نبالغ اذا قلنا انّ توصيف المتنبي لتلك الأمكنة يفتح فضاءً واسعاً لدى قارئ النّص للبحث عن مدلولاتها وإيحاءاتها الخفية عبر قراءةٍ تأويلية نابعة من روح الخطاب الشعري.

أما المستوى الثاني: فتمثل صورة المكان الحسية التي تعتمد لحظات من الانفعال المؤقت للشاعر، وربما هو شعورٌ عابرٌ للإحساس بجمال المكان دون أن يكون له امتدادٌ مع ذاكرة الشاعر وهويتهِ وهو ما سنشاهدُه من خلال بعض الأمثلة المختارة من شعره.

- **ثنائية [الحضور والغياب] في الفضاء المكاني**

إن المتأمل لديوان المتنبي يلحظ هوية الشاعر ترتبط ارتباطاً وثيقاً وعميقًا ببعض الامكنة فليس كمًا يبدو للوهلة الأولى ارتباطٌ تسوده العاطفة الشكلية المبنية على رؤية سطحية لإطار الإمكان، بل هو عبارة عن علاقة نابعة من الإتصال والإنفصال الموازي لحضور الجسد واغتراب الذات: وتلك ثنائيةٌ لن يستطيعَ قارئ النص تحديد أبعادها الّا عبر تحديد مدلولات النص المركزية والثانوية، بغية تحقيق صورة واضحة لمعالم المكان وجماليته بالنص.

يقول:

مَفرَشي صَهوَةُ الحِصانِ وَلَكِن نَّ قَميصي مَسرودَةٌ مِن حَديدِ
لَأمَةٌ فاضَةٌ أَضاةٌ دِلاصٌ أَحكَمَت نَسجَها يَدا داوُدِ
أَينَ فَضلي إِذا قَنِعتُ الده رِ بِعَيشٍ مُعَجَّلِ التَنكيدِ
ضاقَ صَدري وَطالَ في طَلَبِ الرِز قِ قِيامي وَقَلَّ عَنهُ قُعودي
أَبَداً أَقطَعُ البِلادَ وَنَجمي في نُحوسٍ وَهِمَّتي في سُعودِ[١٣]

إن هذا الشطر من القصيدة يمثل الحضور الشكلي لتفاعلات (ذات الشاعر) مع تفاصيل المكان والذي تعلوه لغة التشاؤم والسخط وعدم الرضا بالقدر الذي يمثلهُ المكان لشخصهِ ((أنّ ثمة مغزى بعيداً يكمن وراء المحتوى الظاهر للنص ، فمقارعة الأقدار لا تكونُ إلا اذا كانت الأقدار ظالمة ومن ثم فلابدّ من مقارعة القدر على نحو ما نلاحظه في البعد المكاني للقدر)).(١٤)

وهنا يحاول الشاعر تجاوز هذهِ الصورة السوداوية المتشائمة الى صورةٍ أخرى: تتمثل في تحديد أبعاد المكان، وتسمياتهِ ؛ كي يتيح لقارئ النص النظر في جوانبهِ واكتشاف علاقة الشاعر العميقة مع فضائه المفتوح للتأويل يقول:

ما مُقامي بِأَرضِ نَخلَةَ إِلّا كَمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهودِ

****

أَنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللَهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ[١٥]

لقد أثار هذا النص– قديماً– شهيّةَ حسّاد المتنبي، فحاولوا النيل منهُ وتحطيم صورتهِ انطلاقاً من فهمهم المتواضع للنص، أو بدافع غريزة الارتباط الشكلي بالدين، فقدّموا المتنبيَّ بصورة المتمرد على النسق الديني، وانهُ يسعى الى بناء صورة نبوية للذات؛ الّا اننا ومن خلال قراءتنا للنص ومحاولة فهم الترابط الدلالي لفضائه، اتضح لنا أن تلك عبارة عن تهمة مبالغٍ فيها وان النصّ الشعري اعطى معنىً عميقاً ليست له علاقة بمسألة النبوة.

إن ثمة دلالاتٍ تصوغُ لنا معالم المكان وترسم ابعادهُ، والتي بدورها تكشف اللحظات التي كان يستشعرها الشاعر عند انشادهِ لهذهِ القصيدة، إذ تكشف تلك العلاقات الدلالية انه ينقسمُ الى مستويين من المدلولات:

الأول: تفاصيل "بيتهِ" الذي كنّى عنه بمفرشهِ ومكانتهُ التي حشّد لها كل فخامة الأدوات للشاعر الفارس وهي (صهوة الحصان) و(اللامة) البرّاقة، وتلك مفردات رسّخت مبدأ الحضور مقابل الغياب.

وأما المستوى الثاني: فهي دلالة الضياع التي تؤكدها مفرداتُ (بعيش معجّل التنكيد) والتي لم تكن توازي وعيهُ وذاتهُ وهنا يتأكد مبدأ الغياب.

ولعل الجمع بين هذهِ الدلالات سينتهي بقارئ النص الى معنّى خفي يريد الشاعر تمريرهُ للقارئ عبر تأكيدهِ بالتركيب الإضافي لدلالة المكان (أرض نخلةٍ) الذي يعكس شكل العلاقة مع (انا الشاعر).

لقد تنافرت علاقة الشاعر مع محيطهِ الى الدرجة التي دفعتهُ ان يعلو صوتهُ بصرخة مدويةٍ كسرت السياق وحققت ما لم يتم توقعهُ وتلك الصرخة هي المعنى المركزي في دائرة النص كما كشفها بناؤهُ الشعري بقوله:

ما مُقامي بِأَرضِ نَخلَةَ إِلّا كَمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهودِ

أَنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللَهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ

لقد كشف هذان البيتان، قاعدةً مشوهّةً للمتلقي الاعتيادي والناقد غير المحترف إذ يتعذر لهما الربط بين دلالات الأبيات بقصد الوصول الى المعنى الخفي؛ لذلك ضاقا ذرعاً بتشبيه المتنبي ب (مفردات

وأسماء الأنبياء) التي تعدُّ في وعيهم ومعتقدهم خطوطاً حمراء بينما هي في الوقت ذاته حققت جمالية الاغتراب المكاني وأكّدت انفصال (ذات الشاعر) عن المحيط الذي يخيم عليهِ الجمود الذهني.

إن هذا المتلقي لم يعِ مقام الشاعر بكل تفاصيلهُ ومدلولاتهِ لذلك أراد أن يضرب طوقاً على (عقل الشاعر) ويؤسس له دائرةً لا ينبغي له الخروج عنها؛ وهو ما عززه الفهم السطحي لهذين البيتين.

وهنا ينبغي أن نتساءل: كيف لشاعر عبقري مثل المتنبي أن يربح هذهِ المواجهة؟

إنّ ((تلك الغيبوبة الوجودية سرعان ما تتبدل وتتلاشى في ما يفاجئنا مشهدٌ تلقي فيها حالة استعادة الوعي بظلالها على مسرح الفعل، فيفيق الأنا متحمساً طبيعةَ وجودهِ في حركةٍ صاعدة نحو أعالٍ هائلة)).[١٦]

والتي من أعلى سفوحها سيعلن الشاعر هويتهِ ومقامهُ الذي يمثلُ دافعاً سيمنحهُ النصر في هذهِ المواجهة.

إن جمالية المكان في قولهِ (كمقام المسيح بين اليهود) هي جمالية الانتصار على الجمع المشوه المتمثل ب (بأمة تداركها الله) حيث السقوط والانهيار لهذهِ الأمة.

فالقراءة السابقة للنص؛ والتي ارتكزت على البنية العميقة أوضحت بنحوٍ يوكد صورة التقسيم لل(الفرد والأمة) ؛لذلك أفصحت عن صورتين: الأولى (أنا الشاعر) وهي تعيش مخاض تثبيت الهوية وكسر الجمود الذي يكتنفُ (ارض نخلة) والخروج نحو أفق النبوة أي المكان السماوي المفترض لوجود الشاعر وهو معنّى رسختهُ دلالة التشبيه ب (المسيح وصالح) بينما الصورة الاخرى: هي صورة الأمة التي تقف في الطرف الآخر من المواجهة وكلتا الصورتين حققتا ثنائية الحضور والغياب على قاعدة ما ابرزهُ المكان من لغز لمدلولاته الخفية.

- **المكان واغتراب القيم**

بعد ان دققنا في مدلولات النص التي ترصد لنا أبعاد المكان وهي تحتضن (ذاتاً)تريد أن تؤكد هويتها المثقلة بحضور الطموح وهي كما اتضحت صورتهُا واضحةً في القصيدة المذكورة آنفًا .

فإن المتأمل في توصيف المتنبي للمكان الطبيعي، سيجد ذاتهُ تتأرجح من- حيث التفاعل- بين الرصد الإبداعي لجوانبهِ ومظاهره الجمالية وبين الشعور بهذه الجمالية التي يتعكر صفوها حينما يتفاجأ القارئ بإغتراب ذاكرة الشاعر القيمية تحت مظلة الجمال الأخضر يقول:

مَغاني الشَعبِ طيباً في المَغاني بِمَنزِلَةِ الرَبيعِ مِنَ الزَمانِ
وَلَكِنَّ الفَتى العَرَبِيَّ فيها غَريبُ الوَجهِ وَاليَدِ وَاللِسانِ
مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَو سارَ فيها سُلَيمانٌ لَسارَ بِتَرجُمانِ
طَبَت فُرسانَنا وَالخَيلَ حَتّى خَشيتُ وَإِن كَرُمنَ مِنَ الحِرانِ
غَدَونا تَنفُضُ الأَغصانُ فيها عَلى أَعرافِها مِثلَ الجُمانِ
فَسِرتُ وَقَد حَجَبنَ الشَمسَ عَنّي وَجَبنَ مِنَ الضِياءِ بِما كَفاني
وَأَلقى الشَرقُ مِنها في ثِيابي دَنانيراً تَفِرُّ مِنَ البَنانِ(١٧)

في هذا النص يحتل المكان النقطة المركزية الكامنة تحت طيات النص المتماسك لينقسمَ بدوره إلى محورين دلاليين على اساسهما تفترق القراءتان باتجاهين مختلفين الاول :تتأكد به قيمة المكان الجمالية والثاني: يُظهر مقدار التضخم الشعوري لعلاقة الشاعر به

ولعلَ ((الوظيفة الجمالية ، سمةٌ مميزة لفن الأدب وحين يفقد الأدب وظيفتهُ الجمالية ، فإنه يفقد جزءاً غير يسير من فاعليتهِ وقوتهِ التأثيرية فالعنصر الفكري والعنصر الجمالي متلازمان تلازماً حميماً لا غنى لأحدهما عن الآخر في مجال الأدب والشعر خاصة ذلك أن شعر الأفكار-ومنهُ شعر المواقف- مثل سائر الشعر لا يجوز ان يُحكم بقيمة مادتهِ وحسب بل بدرجة تماسكهِ وقوتهِ الفنية)).(١٨)

انّ المتمعن بالنص سيتفاجأ بخروج المكان عن صورتهِ النمطية عن الفهم السائد الذي يتكأ على الرؤية الشكلية للنص الى صورةٍ أكثر جمالية ، حينما تحتشد دلالات المكان بدءاً من لفظة (مغاني الشعب) التي أكدت جمالها ب (طيّباً في المغاني) إلى الانتقال المذهل للشاعر حينما ربط ذلك الجمال بعنصر الزمان الذي يتوشح باللون الاخضر ب -كناية الربيع- ، فجميع تلك التفاصيل لا تكتمل الا بهوية الإطار الثاني وهو عنصر الزمان بقولهِ: (بمنزلة الربيع من الزمانِ).

ان احساس الشاعر بجمالية المكان لم يلغ وجهه الآخر المنبعث من هوية الشعور بالانتماء الخارج عن إطار المكان، الذي تؤكده قيمة (الفتى العربي).

لقد قسم النقاد المكان الى قسمين: المكان المعادي، والمألوف وكلاهما عبارة عن فعل نفسي بالدرجة الأولى.... إنهما يتحدان بحسب الشعور النفسي ألفة وغير ألفة وعلى هذا الأساس يبدو مكان "البيت" غير أليف وساحة الحرب -مثلاً- مكانٍ أليفاً.(١٩)

وهنا بدا شعور المتنبي بين الشد المكاني والتنافر الشعوري، ففي الوقت الذي يتضخم فيه إحساسه بجمالية المكان ب (شعب بوان).(٢٠)

-وهو ما يؤكدهُ المستوى العالي من التعبير- تنشغل ذاكرة الشاعر باستحضار، هوية الإنتماء التي لا يمثلها المكان لذا انشغلت تلك الذاكرة بالأمكنة الخلفية لوجوده الحقيقي، معلنًا أنه: لا يريد أن يتماهى ويذوب بالشكل الجغرافي ل (شعب بوان) يقول:

وَلَكِنَّ الفَتى العَرَبِيَّ فيها غَريبُ الوَجهِ وَاليَدِ وَاللِسانِ(٢١)

وهنا يشع النص بشفرة اخرى تكمن بإن المدلولات الجزئية قد تظافرت مع بعضها بعض فحققت تماسكاً دلالياً اتاحَ لقارئ النص اظهار الترابط الدلالي لجمالية المكان عبر تأكيد هوية الذاكرة وهي ما تظهرهُ ب (انشداد الخيول) بقولهِ: (خَشيتُ وَإِن كَرُمنَ مِنَ الحِرانِ) وهي شفرةٌ عميقة تختفي تحت طيات النص أراد من خلالها الشاعر تأكيد هوية الخيول العربية التي جذبها وشدها العشب الأخضر في حين أن تلك الخيول ظلت تحتفظُ بانتمائها العربي بدلالة قولهِ: (وَإِن كَرُمنَ مِنَ الحِرانِ).

لقد كان المتنبي موضوعياً وحيادياً الى درجة كبيرة حينما أنصف جمالية المكان الشكلية على الرغمِ من انشداد ذاكرته الى أمكنة اخرى وهو ما يؤكدهُ بدقة من خلال وصف حركة الشمس أثناء شروقها حيثُ بدأت أشعتها تتغلغلُ بين أوراق الأشجار فوهبت ثياب المتنبي (دنانيراً تفرُّ من البنانِ).

انها بحق قيمة جمالية للمكان لا تقدر بالدنانير العادية التي يمكن الإمساك بها، او القبض عليها باليد بل بدنانير من نوع آخر، بقيمة فوق الاعتبار يقول:

وَأَلقى الشَرقُ مِنها في ثِيابي دَنانيراً تَفِرُّ مِنَ البَنانِ(٢٢)

لقد تشكلت صورة للمكان كامنة في الوعي الشعري العميق لذاكرة الشاعر،المنشدة الى المكان الذي يرسم شعوره القائل:أنّ جمالية المكان تنعكس عبر صورتين الأولى: عابرة تغذي الحس البصري وهي لحظة استرخاء مؤقتة والثانية :الصورة الجمالية المتلازمة للهوية العميقة لوعي الشاعر.

نتائج البحث:

وأخيرا يبدو من قراءة النصوص السابقة انّ المكان في شعر المتنبي يظهر بجمالية أكثر من الرصد الشكلي أو الانشغال بإطاره لذلك تمخضت تلك الدراسة عن النقاط الجوهرية التالية:

•إنّ نصّ المتنبي الشعري مفتوح للقراءات التأويلية

•اماطت الدراسة اللثام عن أنّ المكان المنبثق من القراءة الدلالية يبدو أكثر جمالا.

•أظهر البحث إن الشاعر لا يمكن أن يتماهى مع المكان الذي لا يمثل هويته.

• كشفت الدراسة فكرة جديدة ترتكز على الوجه الآخر للمكان الجغرافي من خلال ارتباطه بوعي الشاعر.

- **الهوامش والمصادر**

١) الزمنكانية مفهوم تم تبادلهُ ابتداءً من أروقة الفيزياء بهدف تحديد طابعهُ العلمي والمفهومي وعرفت بفضاء مينكوفسكي الرياضي الإنجليزي الشهير وقد تحول المفهوم فيما بعد الى مفهوم علمي صرف ارتبط مع نظرية انشتاين، للمزيد ينظر المصطلح الفلسفي، جميل صليبا ٥٧١/١ –دار الأعلمي بيروت . وكذلك ويكيبيديا على شبكة الانترنت

٢) لسان العرب، بن منظور (مادة مكان) –مج٣، ط٣١ – بيروت لبنان: ١١٣

٣) مريم: ٢٢

٤) قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، علي عبد المعطي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ط١، ١٩٨٤: ١٢٤

٥) يقوم التصور الديكارتي للوجود بصفة عامة على ثنائية الجسد والروح فهنالك من جهة عالم داخلي ذو طبيعة روحية ومن خصائصه التفكير وعدم الامتداد في المكان: للمزيد ينظر المقال عن النهج ديكارتي، ترجمة محمد الخضيري، مراجعة وتقديم د. محمد مصطفى حلمي: هيئة المعرفة العامة للكتاب –القاهرة ١٩٨٥: ١٩٠

٦) للمزيد ينظر فلسفتنا، محمد باقر الصدر –دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان ط٢ ١٩٩٨م: ١٩٣

٧) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاجتماعية: محمد عبدالرحمن مرحبا ، ديوان للمطبوعات الجامعية – الجزائر ط١، ١٩٨٧م: ١٧١

من

٨) الناقد الروسي ميخائيل باختين هو أحد أبرز النقاد الكبار في القرن العشرين ولد عام ١٨٩٥ وتوفي عام ١٩٧٥: اقتبس ميخائيل مصطلح الكرونوتوب (الزمنكانية) مباشرة اينشتاين فهو يراها علاقة مستقلة ومستمرة ومصطلح (الكرونوتوب) مركب من كلمتين (chronos) بمعنى الزمان ومصطلح (trope) بمعنى المكان، للمزيد ينظر: ميخائيل باختين:ترجمة يوسف الحلاق ، د ط وزارة الثقافة

٩) للمزيد: ينظر بحث ((دور المخيلة في النظرية المعرفية الكانطية) مجلة تبيين– العدد٣٦/isuus٩–ربيع٢٠٢٠ spring

١٠) البنية السردية في الرواية، عبد المنعم زكريا القاضي، ع للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية – الهرم. ٢٠٠٩ ط١: ١٨٣

١١) شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي. مؤسسة هنداوي، مصر ط٢ ٢٠١٤م ١٢٢:

١٢) المصدر نفسه:١٢٢

١٣) المصدر نفسه:٣٨٦

١٤) جماليات النص الأدبي: د،مسلم حسب حسين ،دار السياب –لندن–ط١–٢٠٠٧م ١١٥:

١٥) شرح ديوان المتنبي:٣٨٦

١٦) جماليات النص الأدبي:١٢٥

١٧) شرح ديوان المتنبي :١٤٩٨–١٤٩٩

١٨) نظرية الأدب 'رينيه وليك واوستن وارين' ترجمة: محيي الدين صبحي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت '١٩٨٧م :١٠٥

١٩) ينظر جماليات المكان: غاستون باشلار: ترجمة غالب هلسا' المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت ١٩٨٧. ط٣ :٤٣

٢٠) (شعب بوان) ارض فارس بين ارجان والنويدجان وهو أحد منتزهات الدنيا قال: المسعودي وذكر اختلاف الناس في فارس 'فقال: ويقال انهم ولد بوان بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام..... وهو اليه ينسب شعب بوان من أرض فارس وهو أحد المواضع المنتزه المشتهرة بالحسن وكثرة الأشجار وتدفق المياة وكثرة انواع الاطيار. للمزيد ينظر: معجم البلدان' يا قوت الحموي' ج ١' طهران ١٩٨٧ م:٥٠٣

٢١) شرج ديوان المتنبي :١٤٩٩

٢٢) المصدر نفسه ١٤٩٩